

الفصل السابع

التفوذ الإسلامي في إيطاليا

صقلية نقطة وثوب على ايطاليا - ملامة الاحوال في ايطاليا - مهاجمة الشواطئ
الايطالية - امارة برنديزي الاسلامية (٨٣٨ - ٨٧٠) - قلورية وهزيمة
بيزنطة البحرية (٨٣٨) - طرانت (٨٤٠) - امارة بارة الاسلامية
(٨٤١ - ٨٧١) - المفرج بن سلام - غزو روما - البابوية تدفع جزية للمسلمين
(٨٧٠) - امارة جارليانو الاسلامية (٨٨٢ - ٩١٥) - سقوط ريو (٩٠١) -
شمال ايطاليا - شاطيء دالماشية - انكونا - كوماتشيو - التوغل في بيد مونت
من فراكسينيتوم ومعقل الألب الاسلامية - مونتفرات واستي واكي - حصون
العرب على نهرالبو - مجاهد العامري وغزو لوني وبيزا (١٠١٥ م) .

أما إيطاليا ، فلم تسلم من الغزوات الإسلامية ، واشتدت هذه الغزوات خلال عمليات الغزوات والفتح في جزيرة صقلية ، وقد اتخذ المسلمون من صقلية ، نقطة وئويج على إيطاليا ، ولم تستطع بيزنطة أن تعمل شيئا ، بسبب انشغالها في ميادين أخرى (١) ، ولذلك اتجهت البابوية في إيطاليا إلى الفرنجة لحمايتها ، وكان معظم إيطاليا الجنوبية خاضعا لأمراء بنفتم اللومبارديين ، وتعرف إمارتهم في الكتب العربية باسم : «مملكة اللنبردية أو النوبردية أو الأنبردية» (٢) ، كما كانت هناك جمهوريات إيطالية صغيرة مجاورة لإمارة بنفتم وهي : نابلي وجايتا Gaeta وسورينتو وأمالفي وسالرنو وكابوا وهذه كلها تتبع الإمبراطورية البيزنطية اسما ، ويسودها النظام الإقطاعي ، وقد عملت هذه الجمهوريات على الوقوف في وجه أمراء اللومباردو والحيلولة دون توسع أمراء بنفتم (٣) .

ولما كانت هذه الجمهوريات الإيطالية ، تفتقر إلى مساعدات المسيحيين ،

(١) شغلت الإمبراطورية البيزنطية منذ مطلع القرن الثامن الميلادي في الحركة اللايقونية والصراع الداخلي فضلا عن التنافس على العرش ، وضغط الخلافة العباسية ولاسيما وقد قامت ثورة في بغداد لإعلان الجهاد ضد الروم ، وهناك خطر البلغار المتزايد في البلقان (راجع : C. ned, H., PP. 148 - 149 Lin dsay, PP. 406 - 417; Levtschenko, PP. 135 - 141; Bayot (H. G.) T. 1. pp. 626 r 28, 649 - 51; الحركة اللايقونية للمؤلف

(٢) صبح الأعشى > ٥ ص ٤١٥

(٣) Hunt, P. 13 ; Scott, II, P. 25

وتخشي من كثرة الحروب ، وتقاوم مطامع الأمراء اللومبارديين في بنفتم ، فقد اضطرت إلى مخالفة المسلمين في صقلية ، فتحالفت نابلي مع مسلمي صقلية عام ٨٣٠ م أو ٨٣٥ م ، ودام هذا التحالف نحو خمسين سنة رغم احتجاج المسيحيين (١) ويرجع ذلك إلى أن نابلي ستمت من الخضوع لإمارة بنفتم والإتاوة التي كانت تدفعها لها ، وقدم المسلمون مساعداتهم لجمهورية نابلي ، حين حاصرتها جيوش بنفتم بقيادة سيكاردوس Sicardus اللومباردي ، ونجحت القوات الإسلامية التي أرسلها أبو الأغب إبراهيم بن عبد الله (٢٢٠ - ٢٣٦ هـ / ٨٣٥ - ٨٥٠ م) والى صقلية ، في طرد المحاصرين ، وخلال هذه العمليات ، كان المسلمون يزيدون في سلطانهم لصقلية (٢) .

وكانت هذه سابقة خطيرة ، لكنها كثيرا ما تكررت ، ولجأت إليها مدن أخرى من مدن الجنوب الإيطالي ، ولاسيما خلال الحرب التي اندلعت بين بنفتم وسالرنو (٣) . بل إنه حدث خلال الصراع الذي وقع في عام ٨٣٩ م ، بين الأمراء اللومبارد أنفسهم ، في بنفتم ، أن استعان المتنافسون بالمسلمين ، فاستعان بعضهم بالأغلبية في أفريقية وصقلية ، واستعان البعض الآخر بمسلمي كريت أو مسلمي أسبانيا . وكان من نتيجة هذا الصراع الداخلي أن تمكن المسلمون من اجتياح إيطاليا الجنوبية

Scott, II, P. 25 (١)

Scott, II, pp. 26-27, 51 (٢)

بسرعة (١) ، وامتدت غزواتهم إلى جميع شواطئها المطلة على البحر الأدرياتي ، وعلى البحر التيراني .

وسوف أتناول المناطق التي انبسطت عليها السيادة الإسلامية ، بحسب تاريخ قيام هذه السيادة ، ولو أن الترتيب التاريخي ، غير مضطرد في بعض الأحيان ، بسبب أن الغزو الإسلامي كان يقع في أكثر من جهة واحدة في وقت واحد ، فضلا عن تكرر الغزوات ، ولذا سوف يكون هذا الترتيب التاريخي بالنسبة للغزو الأول .

ففي عام ٨١٢ م هاجم المسلمون لامبيدوزا Lampedouza وبوتزا Pozza وإيشيا Ieckia على الشواطئ الإيطالية ، واحتفظوا بها لمدة ثلاثين سنة (٢) ،

وفي عام ٢٢٢ هـ / ٨٣٦ م احتل المسلمون برنديزي Brundisium ، وفشل أمير الجهة في طردهم ، فأحرقوها وعادوا إلى صقلية ، ثم تكرر الغزو حتى استولوا عليها عام ٢٢٤ هـ / ٨٣٨ م ، وكان عرب كريت بمساعدة عرب صقلية ، هم الذين أتموا فتح برنديزي ، واستمرت سيادة المسلمين عليها إلى عام ٨٧٠ م ، أي نحو ثلاثين سنة ، (٨٤٠ - ٨٧٠ م) (٣) أما شبه جزيرة كالابريا Calabria ، وهي التي أطلق المسلمون عليها

(١) انظر مايلي

(٢) مؤنس ص ١١٢

(٣) أرشيبالد ص ٢١٥ ، كرد على ص ٢٧٦ ، مؤنس ص ١١٢

اسم قلورية ، فقد هاجمها المسلمون وخرّبوا مدينة كاپوا ، وذلك في غزوة سريعة (١) ، وقد أشار ابن الأثير إلى الغزوة الكبرى لإقليم قلورية في حوادث ٢٢٥ هـ (٨٣٩ م) فقال :

« وسار أسطول المسلمين إلى قلورية ففتحها ، ولقوا أسطول صاحب القسطنطينية ، فهزموه بعد قتال ، فعاد الأسطول إلى القسطنطينية مهزوما . فكان فتحاً عظيماً . » (٢) ، ولم تنقطع غزوات العرب عن قلورية حتى سنة ٨٨٨ م التي انتصر فيها المسلمون على الأسطول البيزنطي ، بعد وفاة الإمبراطور باسل الأول المقدوني (ت ٨٨٦ م) (٣) .

ونجح المسلمون في احتلال طارات Tarentum ، عام ٨٤٠ م ، وهي قاعدة بحرية هامة على مدخل البحر الأدرياتي ، وتولى عرب كريت بعد ذلك حكمها حوالي سنة ٨٤٢ م أو ٨٤٣ م ، وقد امتد حكم المسلمين في طارات . ٤ سنة (٤) .

وقد خشى البنادقة على تجارتهم من السيادة الإسلامية على جنوبي إيطاليا ، فأرسلوا أسطولاً مؤلفاً من ستين سفينة ، وكان الإمبراطور البيزنطي نيو فيلس (٨٢٩ - ٨٤٢ م) قد أغرام بالمسلمين ، غير أن أسطول

(١) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤١٠ ؛ مؤنس ص ١١٢

(٢) تاريخ الكامل ج ٦ ص ١٨٢

(٣) أرشيبالد ص ٢٢٠ - ٢٢١

(٤) مؤنس ص ١١٢ ، C. Med. H., IV. PP, 149-150

البنادقة لقي هزيمة منكرة أمام الأسطول الإسلامي في مياه طارانت ، قرب كرتونا Cortona على خليج طارانت ، ودمر الأسطول البندقي (١) .

وخلال الصراع الذي نشب في إمارة بنفتم اللومباردية عام ٨٣٩ م ، استعان المتنافسون على السلاطة بالمسلمين فاتجه بعض المتنافسين إلى مسلمي صقلية ، بينما اتجه البعض الآخر إلى أسبانيا أو كريت ، وكان من نتيجة هذا الصراع ، أن استولى المسلمون على باري Bari وما حولها عام ٨٤١ م وتكونت في باري إمارة إسلامية استمرت نحو ثلاثين سنة (٨٤١ - ٨٧١ م) بل نجح المسلمون في احتلال بنفتم نفسها لمدة خمس سنوات (٨٤٢ - ٨٤٧ م) (٢) .

وباري ميناء هامة على مدخل البحر الأدرياتي ، فهي تتحكم فيه ، كغيرها من الموانئ الجنوبية ، ولذلك اتخذها المسلمون قاعدة لغزو البلاد المتاخمة ، واشتهر من قادة المسلمين في باري المفرج بن سلام ، الذي يقال إنه فتح أربعة وعشرين حصناً ، زمن خلافة المتوكل على الله العباسي (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٦١ م) ، وكتب ابن سلام إلى صاحب البريد بمصر « يعلمه خبره ، وأنه لا يرى لنفسه ومن معه من المسلمين صلاة إلا بأن يعقد له الإمام ، (أي خليفة بغداد) ، على ناحيته ويوليه إياها ، ليخرج من حد المتغلبين ، (٣) ، وبني في بارة ، كما تسميها المراجع العربية ، مسجداً جامعاً ، وامتد نفوذه على أشهر بلاد أبوليا ، ثم قتل على يد منافسيه ،

(١) أرشيبالد ص ٢١٥ ، كرد على ص ٢٧٦

(٢) كرد على ص ٢٧٦ ، مؤنس ص ١١٢

(٣) البلاذري في ١ ص ٢٧٧

وخلفه شخص يسمى سوران ، فبعث إلى الخليفة المتوكل ليعقد له على ولاية بارة ، ولكنه مات قبل أن يبرح رسوله إلى الشرق (١) .

ويبدو أن المفرج بن سلام وسوران ، من أهل كريت ، ولا صلة لها بالأغالبة ، وأنها عمدا إلى الخلافة العباسية في بغداد يراجعها مباشرة ، لتصح ولايتها (٢) .

واشتهر حاكم بارة المسلم بالتسامح ، حتى إنه كان يشجع الحجاج المسيحيين ويساعدهم على الرحلة إلى فلسطين ، بتيسير حصولهم على السفن وتسهيل مرورهم على البلاد التي يجتازونها ولاسيما مصر (٣) .

وتعرضت روما كذلك إلى غزوات المسلمين عام ٨٠٩ م ، ويقال إن الغزوة وقعت في يوم السبت في عيد الفصح في ذلك العام ، ولم يسيئوا إلى البابا ليو الثالث اكبر سنه (٤) ، وتكرر الغزو في عام ٨٤٦ م ، وهاجم المسلمون الأراضي البابوية ، وهزموا حاميات كيفيتا فكيا Civita Viccia ونوفا أوستيا Nova Ostia ، ووصلوا في هذه الغزوة إلى ضواحي مدينة روما وحاصروها ، فاضطرب البابا سرجيوس الثاني ، وحينئذ أسرع الإمبراطور لويس الثاني الكارولنجي ملك الفرنجة واللومبارديين ، وأرسل حملة لقتال المسلمين ، كما أعد حلف كامنيا المكون من نابلي

(١) البلاذرى ق ١ ص ٢٧٧ ، صبح الأعشى ج ٥ ص ٤١٠ ، أرشيبالد لويس ص ٢١٥

(٢) كرد على ص ٢٧٧

(٣) أرشيبالد لويس ص ٢٧٥

(٤) Deanesly, p. 875

وأما لني وجانيا ، أسطولا بحريا لمطاردتهم ، فاضطر العرب لرفع الحصار بعد قتال عنيف ، وعادوا محملين بالغنائم (١) .

وجرت غزوة إسلامية أخرى لمدينة روما ، وقعت في عام ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م ، وقوامها قوات من الأندلس وأفريقية ، وكان حلف كامنيا حليفاً للمسلمين في ذلك الوقت ، ولذلك تمكن المسلمون من الوصول إلى ضواحي روما ، فاضطر البابا حنا الثامن إلى مفاوضتهم في الصلح والجلء مقابل دفع جزية سنوية قدرها مائة ألف مثقال ذهب ، وكان ذلك بعد أن طال جهود البابا في إثارة شارل الأصلع الفرنجي (٨٥٥ - ٨٧٧ م) ، رغم أن البابا توجه إمبراطورا في روما في يوم عيد الميلاد سنة ٨٧٥ م بعد وفاة لويس الثاني ، والواقع أن شارل الأصلع لم يضارع في الكفاية سلفه لويس الثاني ، فلم ينهض لإنقاذ البابوية ، كما أن بيزيطة كانت حانقة على البابوية لاتجاهها إلى الفرنجة ومن ثم تعرضت الشدة البابوية Holy see لخطر المسلمين (٢) .

على أن الغزو الإسلامي لم ينقطع عن إيطاليا ، وكلما ازداد تنافس الأمراء المحليين في إيطاليا كثرت الغزوات الإسلامية ، فازداد الضغط الإسلامي على الشاطئ المغربي لإيطاليا بصفة خاصة ، وتوالت الغارات على مدن كامبانيا Campagne ، ونهب المسلمون جايتا Gaeta وسالرنو Salernum ، وهاجموا نابلي وكابوا ومونت كاسينو ، واحتلوا منطقة

(١) كرد على ص ٢٧٨

(٢) لوبون ص ٣٠٢ ، أرشيبالد لويس ص ٢١٩ ، كرد على ص ٢٧٨ ،

Hunt, p. 14 · Deanesly, P. 456; Scott, II, PP. 63; 51

میزونیوم Misennium تحت أسوار نابلي ، وأشهر الغزوات التي اجتاحت هذه المناطق ، كانت في سنوات ٨٥٦ ، ٨٦٨ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٨٣ م (١)

وعند مصب نهر جارليانو Garilano أسس المسلمون إمارة إسلامية عام ٨٨٢م أو ٨٨٣م وأضحت هذه الإمارة مركزاً لتهديد مستمر للولايات البابوية ، واستمرت هذه الإمارة نحو أربعين سنة (٨٨٢ - ٩١٥م) (٢)

وفي مطلع القرن العاشر الميلادي ، نجح المسلمون في الاستيلاء على مدينة ريو Reggio في قلورية ، وذلك بقيادة أبي العباس في سنة ٩٠١م ، الذي بنى فيها مسجداً كبيراً ، وشرط على أهلها ألا يمنعوا المسلمين من عمارة هذا المسجد ، أو الاختلاف إليه لتأدية الصلاة ، كما حرم على المسيحيين دخوله ، واشترط كذلك أن من يدخله من أسرى المسلمين فهو آمن ، وإن خرب النصارى فيه حجراً هدمت كنائسهم كلها بصقلية ، وقد وفي سكان ريو بهذه الشروط ؛ غير أن المسجد لم يستمر عامراً أكثر من أربع سنوات ، وكان البابا حنا الثامن عشر قد استعان بالبيزانة لتحرير مدينة ريو من المسلمين (٣) .

على أن غزوات المسلمين ، لم تقتصر على جنوبي إيطاليا ووسطها ، فقد امتدت إلى شمالي إيطاليا كذلك ، لكن يلاحظ أن هذه الغزوات ؛ في

(١) مؤنس ص ١١٣ ، Scott, II, p. 35, Deanesly, p 450

(٢) كرد على ص ٢٧٧ - ٢٧٨ ، Hunt, P. 13 , Scott, II, P. 35

(٣) كرد على ج ١ ص ٢٧٨ ، كايلىا ص ٢٠٠ C. Med. H., IV, P. 141

تلك الأصقاع ، لم تؤد إلى إنشاء إمارات إسلامية في الأرض الإيطالية ، كما هو الشأن في الجنوب ، ومع ذلك فقد كانت غزوات مملحة .

وأول غزوة في شمال إيطاليا ؛ كانت عام ٧٣٥ م ، على أثر وقعة بلاط الشهداء في فرنسا (٧٣٢ م) ؛ وفيها توجه عقبة بن الحجاج السلوي ، على رأس جيش ودخل بيدمونت وغنم منها ، ولكنها كانت غزوة سريعة (١) ثم فترت حركات المسلمين في شمال إيطاليا مدة من الزمن .

وفي عام ٨٣٤ م ، غزا المسلمون ثغر جنوه ، وتكرر الغزو في العام التالي ، وغنم منها المسلمون وعادوا (٢) . ولكن سواحل البحر الأدرياتي الشمالية استهدفت لأكثر من غزوة ، منذ عام ٨٤٠ م ، فقد حدث على أثر اشتراك البنادقة في العمل على طرد المسلمين عقب استيلائهم على طارات عام ٨٤٠ م ؛ أن توجهت الأساطيل الإسلامية في البحر الأدرياتي إلى ساحل دالماتيا ونهبت مدينة أوزيرو Osro في جزيرة خرسو Gherso التابعة للبنادق ، وأسروا عدداً من سفن البندقية ، كما أسروا كثيراً من أهل أنكونا ، ولم تسلم البندقية نفسها من الغزو (٣) .

وعند مصب نهر البو ، يقع ثغر كوماتشيو Gomacchio ، وهذا بدوره تعرض للغزو الإسلامي عام ٨٧٥ م كما تكرر غزو البندقية ،

(١) فيجر الأندلس ص ٢٨١

(٢) المسلمون في حوض البحر الأبيض ص ١١٣ ، كرد على ج ١ ص ٢٧٧

(٣) أرشيبالد ص ٢١٥ - ٢١٩ ، كرد على ج ١ ص ٢٧٦ - ٢٧٧

وتوغل المسلمون في غزواتهم في الداخل حتى وصلوا إلى حدود
إستريا Iстриا ، مما أدى إلى تعطل تجارة إيطاليا البحرية (١) .

ومنذ استقرار المسلمين في قلعة فراكسينيتوم حوالي ٨٩٠ م ، لم
تنقطع الغارات الإسلامية عن شمال إيطاليا وما حولها من الجهات . فتحكم
المسلمون في ممرات جبال الألب ، وعبروا ممر مونت سني Mont Cenis
عام ٩٠٦ م ، فهرب رهبان دير نوفاليز Novalesse - على حدود بيد مونت
إلى تورين . واستطاع بعض أهالي تلك المناطق أن يقبضوا على فريق من
الغزاة المسلمين ، في مدينة تورين ، لكن هذا الفريق تمكن من
الإفلات (٢) .

ولم يستطع العابرون والمسافرون أن يجتازوا من مضائق الألب ، إلا
إذا كانوا مسلحين أو أخذوا إذنا من العرب المتحكمين في جميع الممرات ،
أو دفعوا رسما نظير مرورهم .

وكثرت غاراتهم في شمال إيطاليا ، فهاجموا مونتفرات Montferrat
ومدينة أستى Asti وآكي Acqui ، والأخيرة مشهورة بجمااتها المعدنية ،
ووصلوا إلى حدود ليجوريا Liguria ودخلوا جنوة عنوة (٣) .

وللعرب حصون في منطقة بيد مونت ، منها حصن فرسكنديلوم
Fracenedellum قرب كازل Casal على نهر البو ، ويسمى كذلك حصن

(١) أرشيباند ص ٢١٨ - ٢١٩ ، Scott, II, P. 36.

(٢) غزوات العرب ص ١٦٧

(٣) غزوات العرب ص ١٧٠ - ١٧١ (عن ليتوبراند) ، المسلمون في حوض

البحر الأبيض المتوسط ص ١٣٠

فراكينتوم ، ويقال إن مكانه الآن مدينة فلسترال Fenestralle (١) .

...

وجاء دور مدينة لوني Luni على ساحل إيطاليا الغربي ، في مطلع القرن الحادى عشر ، وذلك على يد مجاهد العامرى ، وكان موقع هذه المدينة هاما كمرکز تجارى وصناعى ، لاشتهارها بصناعة الرخام ، ولها علاقات تجارية نشطة مع روما والجزر التسكانية وجزيرة قورسيقة ، وفرغ مجاهد من غزو جزيرة سردانية ١٠١٥ م وتوجه إلى لوني واستولى عليها ، واتخذ منها قاعدة لأعماله الحربية فى إيطاليا ، وكان هجوم مجاهد على لوني آخر هجوم إسلامى على هذه المنطقة ، إذ كان رد الفعل عميقا عند المسيحية (٢)

ولما كانت حراسة بيزا ضعيفة فى ذلك الوقت ؛ نظر الآن قوات البيزانة كانت قد توجهت نحو الجنوب بدعوة من البابا حنا الثامن عشر لتخليص مدينة ريو من قبضة المسلمين ؛ فى ذلك الوقت ؛ هاجمها مجاهد العامرى واحتل حيا من أحيائها وأحرقه ، ولكنه عجز عن احتلال المدينة كلها ، لسبب شجاعة امرأة مواطنة فيما يقال ؛ إذ سمعت أصواتا غريبة فى جنح الليل حين اقتحم مجاهد بسفنه نهر الأرنو Arno ؛ فهبت هذه المرأة ، وتوجهت إلى منزل حاكم المدينة وأفضت إليه بالخبر ؛ فنهض على الفور لدفع العدو المهاجم ؛ وتعرف هذه المرأة باسم كيو سكا جيزموندى Chiusica Gismondi (٣) .

(١) غزوات العرب من ١٧٥ (عن مؤرخ دير نوناليز ، وهو معاصر للأحداث لكنه متعصب ومتطرف)

(٢) كلييا ص ١٩٨ - ١٩٩ ؛ مؤنس ص ١١٦

(٣) كلييا ص ٢٠٠